

أيها الإحبة..



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

أيُّها الأُحِبَّةُ . .

السَّيِّدَ مُحَمَّدَ حُسَيْنِ فَضْلِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ندخل في الأوراق الآتية إلى حوار، ليس هو حواراً عادياً، يتناول أحداثاً ووقائع جرت في حياة المُحاور، يعلّق عليها كما كان يعلّق عندما يُطلب رأيه في الملمات..

وهو حوارٌ لم يُبنَ على فرضيّة غياب المُحاور عن الحياة الدنيا، لتتركز الأسئلة عمّا يتوقع أن تكون الحال من بعده.. فحسب؛ بل هو حوارٌ ذهب بعيداً في فرضياته، إلى عالم الآخرة، والانفتاح على مشاعرها وأحاسيسها وردود الفعل فيها لدى المُحاور.

وإذ يعكس هذا الحوار فرادة موضوعه، ففي أجوبة المُحاور، الذي هو مالى الدنيا وشاغل الناس في عصره، عنوان الإسلام الحركي، ومرّي الأجيال الإسلاميّة الحركيّة والجهاديّة، ورائد الوحدة الإسلاميّة، والذي تعرّض لمحاولات اغتيال جسدي ومعنويّ، وعانى الكثير من العنت والتعسف في حياته، حتّى اجتمعت عليه أطرافٌ لم يجمعها سوى محاولة النيل منه.

في أجوبته يعكس شخصيّة تكاد تكون أعجوبة في الارتقاء الأخلاقي إلى مستوى نكران الذات حتّى في أبسط حقوق التعبير عنها، وفي السموّ الروحي إلى مستوى الذوبان في حبّ الله؛ وفي التواضع الإنسانيّ إلى الحدّ الذي لا يتجرّأ فيه على توقّع ما يقول أو يفعل بين يدي الله؛ وفي البعد الرساليّ الذي يذوب فيه الشخص - بكلّ خصوصيّاته - لمصلحة الرسالة؛ وفي الواقعيّة التي تتفهّم ردود الفعل ضدّ الرساليّة، مهما كانت قاسيةً، لتدعوها إلى الاستفادة من التجربة بعد أن يشعر الآخرون «بالأمن من تعقيدات وجوده عليهم»..



هذا الحوار لم يُجرَ مع «السيد» في آخر حياته، وربّما تكمن أهمّيّته هنا؛ لأنّ ما تعكسه أجوبة سماحته من سموّ أخلاقيّ وروحيّ هو في عمق حالة الصراع الذي كان يضغط على كلّ مشاعر سماحة السيّد وأحاسيسه، ويدخل الواقع الإسلاميّ كلّّه، في مستوى انتشاره في العالم، في نوع من الفتنة التي تستدعي كلّ مفردات التضليل والتكفير والإخراج من الملة والدين، بكلّ وسائل الاتّهام والكذب وتحريف الكلام عن مواضعه وما إلى ذلك.. ومع ذلك لا تلمح فيه حقداً حتّى على الذين أدخلوا الواقع الإسلامي في الفتنة؛ ولكنّه يكلّمهم إلى الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الحقّ العامّ بيد الله وحده.

بينما لو كان هذا الحديث في أواخر حياته الشريفة، فربما كان السموّ الروحي طبيعياً لشخص يقترب من الله، ويحاول أن يطهر القلب ممّا يدنّسه من المشاعر السلبية تجاه الخاطئين أو الجاهلين، فيكون السموّ، والترقّع والساحة، شيئاً تفرضه طبيعة الظرف الذي يمرّ به السامي والمترقّع والسمح، وليس شيئاً تختبره اليوم في عمق ذات «السيد»، كأننا نقراه للمرة الأولى.

في هذا الحوار، نجد الثبات والتجانس بين العناصر الإيمانية والروحية للشخصية وبين العناصر الفكرية؛ بل نجد تجانس الحالة الشعورية مع كلّ ذلك، تلك الحالة التي قد تبرّر للإنسان كثيراً من التعبير السلبي عن حالة الانتصار للذات أمام ضربات الخصوم، أو تأكيد عناصر قوتها أمام إنكار المنكرين.. ونلمح عمق هذا التجانس عندما يُسأل عن استخدامه لحقّ الشفاعة لو أعطي له، فيجيب السيّد - تطبيقاً للآية الكريمة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] - ليقول: «سأُتعلّق إلى مستوى الإذن وحجمه»، ليحصر السيّد توقّعه الدنيوي في إطار إذن الله غداً؛ وهذا منتهى التواضع الإنساني العبودي أمام الذات الإلهية والربوبية.



واليوم إذ ننشر جزءاً من الحوار الذي أجراه الأخوان العزيزان الشيخ

يوسف عباس والشيخ محمد عمير في صيف العام ٢٠٠٠ م، نشره لطلاب الحقيقة والإنسانية، رتبناه بما يعين القارئ، فخذفنا بعض الأسئلة واكتفينا بعناوين الموضوعات، وجمعنا ما ذكره «السيد» في بداية الحديث، مع ما ذكره في آخره حول الموضوع ذاته، لتتكامل الفكرة في إيجاءاتها وآفاقها، ليكون هذا الكتاب عبارة عن وصايا وكلمات أخيرة ومواضيع تتصل بطبيعة الموت والانفتاح على الآخرة، تاركين نشر الحوار الكامل، والموثق بالصوت والصورة للمستقبل الآتي بإذن الله.

يبقى أن نُشير إلى أنَّ العناية الإلهية شاءت أن لا يُنشر الحوار إلا بعد وفاة سماحة السيد عليه السلام.. ونترك للقارئ الكريم أن يتلمس في هذا الحوار أفقاً لا يراه في غيره من الحوارات؛ والله من وراء القصد.

جعفر محمد حسين فضل الله

بيروت ٢٩ رمضان ١٤٣١ هـ

الموافق ٨ أيلول ٢٠١٠ م

الذات والرسالة

● «محمد حسين فضل الله الذات، خرج منذ وقت طويل»:
مقولة لكم. تحوّلك من الذات إلى الرسالة، ما معناه؟ كيف لم تعش
الذاتية؟

- من الطبيعي أنّ من الصعب جداً أن يتحرّر الإنسان من ذاته؛
لأنّ ذاته تمثّل وجوده، وتمثّل ملامح شخصيّته، وتمثّل العنصر الذي
يدفعه إلى أن يتجاوز واقعه إلى واقعٍ آخر..

لكنّ هناك فرقاً بين أن تكون ذاتك هي الهدف، بحيث إنّك
تعمل من أجل أن تؤكّد ذاتك، وبين أن تكون ذاتك هي الوسيلة التي
تستخدمها لتحقيق الهدف.

لقد قلتُ بأنّي لم أشعر أنّ عليّ أن أوّكّد ذاتي من أجل أن
تتضحّ أكثر، أو من أجل أن تلتفخ أكثر... من الطبيعيّ أن أحبّ
ذاتي؛ ولكيّ عندما أسترجع ذاكرتي، أشعر أنّ الإسلام هو ما كان
يشغل ذاتي عن ذاتي؛ ومن الممكن أن أكون حققتُ ذاتي في الإسلام؛

لأنّ الإسلام هو فكري، وهو ديني، وهو دنيائي وآخرتي. فمن الممكن جداً أنّ الذات كانت تتحرّك لتؤكد نفسها في الأفق الروحي العامّ، والأفق الثقافي العامّ؛ لأنّك لا تستطيع أن تبعد ذاتك عن حركتك، لكنّك من الممكن أن تبعد ذاتك عن هدفك.

إنّني لا أعمل أن أفرض ذاتي على مسيرتي. ولو كنتُ أريد أن أفرض ذاتي على مسيرتي لما عشتُ كلّ هذه الصراعات، وكلّ هذه المعارك...

● «الراحة حرام»؛ ما مستندكم الفقهي - الحركي لذلك؟ وهل استطعت فعلاً أن لا ترتاح؟

- إنّ المستند الفقهي هو قاعدة المسؤولية؛ فأنا عندما أتحمّس أنّي أستطيع أن أخدم الإسلام أكثر، وأنّ الإسلام بحاجة إلى ما أملكه من طاقات، وأنّ الناس بحاجة إلى أن أحرك تجربتي في حياتهم أكثر، فإنّني أشعر أنّ مسؤوليتي تمنعني من أن أعيش حالة فراغ، أو أعيش حالة راحة لاهية عابثة.

لذلك، في الوقت الذي أعيش فيه كإنسان شاعر يحبّ الجمال، ويحبّ الطبيعة.. لم أعش كلّ حياتي هذا الاسترخاء في الطبيعة، أو

الاسترخاء أمام حالات اللهو والعبث في الحياة. فقد يكون ذلك مزاجاً، ولكنّه في الوقت نفسه يمثّل أسلوب حياتي؛ فأنا لا أجد الوقت الذي أفرغ فيه لنفسي أو لأهلي حتّى الآن وأنا في الطريق إلى السبعين.

● «لا أحمل في قلبي حقداً على أحد»؛ مرتبة عالية في إنسانيتكم؛ هل يُمكن أن تتحدّثوا عن ذلك مع كلّ هذا الجوّ الحاقد عليكم؟

- إتيّ منذ انطلقت في الحياة تعلّمت الحبّ من الله ومن رسول الله ﷺ، ومن الأئمّة (عليهم السلام)؛ فقد رأيتُ أنّ الله سبحانه وتعالى قد أعطى الرحمة للناس كلّهم، والرحمة تمثّل حالة حبّ، فأنا أحبّ الإنسان كلّهُ، ولكنّي أبغض انحرافه وجريّمته وكفره وظلمه، وقد ورد عندنا في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيَبْغُضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيَبْغُضُ بَدَنَهُ»^(١).

لقد تعلّمت من رسول الله ﷺ ذلك، عندما قرأت سيرته، ورأيت أنّه مفتوح القلب لكلّ الناس، وأنّه كان يقول: «اللهم اهدِ قومي

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ٤٤، من خطبة له في الداعي ووصف آل البيت (عليهم السلام).

فإنهم لا يعلمون»^(١).. وتعلّمتُ ذلك من عليّ عليه السلام عندما كان يقول:
«احصد الشرَّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك»^(٢).

إنّني وأنا أتألّم بما يتحرّك به كلّ هؤلاء، ولا أدّعي لنفسي أنّي
أبتعد عن الأحاسيس والمشاعر؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله - كما حدّثنا
الله تعالى عنه - يحزن، ويعيش الضيق ممّا يمكرون؛ لذا قال الله له:
﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠]؛ لكنّي
أحاول دائماً أن أدرس نقاط الضعف التي فرضت عليهم ذلك.. كنتُ
أدرس التخلّف الذي يعيشون فيه، والجهل الذي يعيشون فيه،
والذاتيات التي يدورون في فلکها؛ ولذلك كنتُ أشفق عليهم من أنفسهم
أكثر ممّا أشفق على نفسي منهم.

إنّني أؤمن بحقيقة، وهي أنّ عليك أن تحبّ الذين يخاصمونك
لتهديمهم، وتحبّ الذين يوافقونك لتتعاون معهم. وإنّني أحبّ الذين التقي
معهم لأتعاون معهم على البرّ والتقوى، وأحبّ الذين أختلف معهم
لأتعاون معهم في الحوار من أجل فهم الحقيقة.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٠، ٢١.

(٢) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٤٣.

إنّ الحياة لا تتحمّل الحقد.. الحقد موت، والمحبة حياة، وأنا أريد أن أحيأ ولا أريد أن أموت.

● هل استطعتم فعلاً أن تحبوا من حقد عليكم؟

- إنّي أستطيع أن أقول إنّي لا أحقد عليه؛ وربّما يتحوّل هذا اللاحقد إلى شيء من المحبة العقلية؛ أن يبتعد هذا الإنسان عمّا هو فيه من خطأ أو ينطلق عمّا هو فيه من تخلف.

● كيف تفهمون (الإنسان) من خلال المنهج الإسلامي؟

— إن الإنسان تحدده آية قرآنية: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]. هو قبضة من الطين تربطه بالأرض، ونفخة من روح الله تخلق به في رحاب الله. وأعتقد أن هذا التزاوج بين الطين وبين الروح الذي جعل الطين يتروح، وجعل الروح تتجسد، هو الذي يجعل من الإنسان إنساناً يملك مسؤولية خلافة الله على الأرض، على أساس علاقته بالأرض، ووعيه للأرض، وفهمه للأرض: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. وهكذا ينطلق في خلافته للأرض لينتج للأرض ثقافتها وحركتها وعلاقتها وأوضاعها وخصبها ورخاءها، ويفجر ينابيعها وما إلى ذلك، ليخلق بالأرض إلى السماء لتقف الأرض بين يدي الله لتتحول إلى سماء

في الروح. وبذلك فإنني لا أفهم الإنسان إلا من خلال أنه يعيش إنسانيته في الانفتاح على الله، وفي التحرك في خط المسؤولية، بحيث يعيش العطاء في كل طاقاته: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩].

● هل كان لهذا الفهم امتداده على مستوى انفتاحكم على الواقع؟

- إنني أتصور أنني عشت هذا ولا أزال، فأنا أملك روحاً رقيقة في الإحساس بالإنسان، ورقيقة في الخشوع أمام الله. وقد عبرت عن ذلك في قصيدة قلتها في الخمسينات أو الستينات:
حُلقت رقيقاً كأن الإله براني من نسمة نادية

● «أنا إنسانيّ في تفكيري، ألتقي مع الإنسان في كلّ مكان»؛ قاعدة تبدو هي المقدّمة في كلّ مسارات حبّكم ولقائكم بالآخر، لم كان ذلك؟ وكيف كان؟

- أنا إنسانيّ؛ لأنّ الإنسان عقلٌ وقلبٌ وروحٌ وإرادةٌ وحركة، وبالعقل تنتج الفكر، وبالعقل تنتج العاطفة، وبالروح تنتج الإيمان، وبالإرادة وبالحركة تنتج الحياة.

لذلك، فإنّني أتصوّر أنّ هذه الإنسانيّة التي تتمثّل فيها هذه

المفردات، هي التي يعبر عنها بكلمة «الفطرة»، لجعل الإنسان يفتح على الله، ويفتح على الحياة من خلال الله.. ولهذا فإني أعتقد أنّ الإنسان إذا فكر بإنسانيته، أو بفطرته، فإنه يلتقي بالحقيقة، يلتقي بالإنسان الآخر، ويملك أن يجاور الإنسان الآخر، وأن يتعاون معه.

لذلك إنّ المشكلة في كثير من الناس أنهم يعيشون الركام الذي يتجمّع فوق الإنسانية، ممّا يجمعه الإنسان من أطماعه وأحقاد، ومن الأمور الضيقة التي يعيش فيها.

مشكلتنا هو هذا الركام المتخلف في أحجاره، وفي تعقيداته، الذي يطبق على الفطرة، فيحبسها عن الانفتاح على الله وعلى الحقيقة..

لذلك، كنت أدعو إلى أن يعيش الإنسان إنسانيته، وأن يتخلص من كلّ هذا الركام الذي يطبق على عقله ليجعله ضيقاً متخلفاً، ويطبق على قلبه ليجعله حاقداً، ويطبق على روحه ليبعد بها عن عالم السماوات، ويطبق على إرادته لضعفها، وعلى حركته ليؤطرها بإطار لا يتسع للإنسان وللحياة.



سكون الحياة

● الحياة فترة هي الزمن؛ يبدوها الإنسان وهو واثق أنها ستنتهي، فيعيش متأثراً بها ومؤثراً فيها. كيف يفهم سماحة السيد الحياة؟

- ألا يجعل الزمن مجرّد لحظات تمرّ، ولكنه يحاول أن يملأ الزمن بكلّ معاني إنسانيّته حتّى يتحوّل الزمن إلى عنصر من العناصر التي تحمل الإنسان في معنى ما يمنحه من حياة.

ربّما يتصوّر الإنسانُ الحياةَ في هذه الحياة الجسدية التي تحرّك كلّ أجهزته، لكنّي أتصوّر أنّ هذه تمثّل آليّة الحياة وليست الحياة. إنّ إنسانيّة الإنسان عندما يقول: أنا، أو عندما تقول: أنت، ليست هي هذا الجسد، وإنّما الإحساس بكل عنصر داخليّ يتحرّك في إطار هذا الجسد.

إنّني أفهم الحياة هذه الحيويّة العقلية والروحيّة والحركة التي تمثّل الوجود الإنسانيّ الذي يبحث عن فكرٍ ينغرس فيه، وعن مستقبل يصنعه، وعن روحٍ يسمو معها ويصفو معها.

● بعد كلّ حياتكم المليئة انطلاقاً، هل تعلنون أنّكم فهمتم الحياة فهماً كاملاً؟

- لا يُمكن أن يُعلن الإنسان فهم الحياة؛ لأنّ الحياة ليست مجرد لوحة مكتملة الملامح والجوانب. إنّ الحياة تعطي في كلّ يوم، من خلال ما تتمثّل في الإنسان، فكراً جديداً، وإحساساً جديداً، وشعوراً جديداً، وتطلّعاً جديداً.

لذلك، لن يستطيع أحد أن يزعم لنفسه أنّه استطاع أن يكمل الفهم للحياة. إنّني أستطيع أن أقول: إنّني اغتنييت بالحياة في الجانب المعرفي لكثير من ركائزها وملاحمها وحركيتها وصراعاتها وأحداثها؛ ولكن يبقى من الحياة الكثير لما يتجاوز العمر، ولما يفتح على أعمارٍ جديدة وعلى أجيال جديدة.

● ما هي أهمّ شخصيّة أثّرت فيكم على مستوى التحوّل؟

- إنّني لا أتصوّر الآن شخصاً ممّن عايشته كان له هذا الأثر في التحوّل؛ ولكنّي أستطيع أن أوّكد أنّ رسول الله ﷺ كان له أبلغ الأثر في كثير من كلّ هذه الحياة التي عشتها. والثاني هو الإمام عليّ عليه السلام الذي أعيش التصرّف في الانفتاح عليه، بحيث إنّني لا أملك

نفسى عندما أتحدّث عنه، وأشعر بأنّي أذوب حبّاً وإعجاباً وتعظيماً له؛ لأنّ عليّاً (عليه السلام) - وهو تلميذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتلميذ القرآن - عاش رحابة الحياة كلّها، ورحابة الحقيقة في كلّ مفرداتها.. ومن الطبيعي أن يلتقي الإنسان بالحسين (عليه السلام) ..

أمّا في انفتاح حياتي بالطريقة التي كنت فيها أبتعد عن كلّ هذه الزنانة البيئية التي كانت تحيط بي، فقد كان أبي ذا أثر كبير في ذلك..

الموت والآخرة في عين المؤمن:

● في الموت تختم مسيرة الإنسان ويتقل من مرحلة العمل والعطاء إلى مرحلة قد لا يكون عاملاً فيها ولكنها تكون هي العاملة فيه، كيف تفهمون الموت؟

- إني أفهم أنّ مشاعر الإنسان في الموت تقفز إلى جانب السلب عندما تتجمّد الحياة في داخل جسده، ولكّني - من الناحية الفكرية - أتطلّع إلى الموت أنّه الجسر الذي يربط بين الحياتين، كما هي عقيدتنا وإيماننا؛ ولكّني أشعر بأنّ التفاصيل التي يختزنها الفكر من موقع الإيمان ليست واضحة أمامنا؛ باعتبار أنّ الساحة في الآخرة تختلف عن الساحة في الدنيا؛ وقوانين الآخرة تختلف عن قوانين الدنيا؛ ولذلك فمن الصعب جداً أن يتصوّر الإنسان الآخرة بالطريقة الماثلة التي يتصوّر فيها الدنيا.

ولعلّ هذا ممّا نفهمه في الحديث [القرآنيّ] عن أهل الجنة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، أو الحديث الذي يقول: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(١).

لذلك، إنّ التّصوّر لهذه المرحلة لا يمكن أن يكون تصوّراً تفصيليّاً واضحاً، ولكنّه تصوّر يمنح الإنسان المفاهيم، ولكن دون أن تنزل إلى الإحساس تماماً، كما هي التجارب التي يعيشها الإنسان في حياته.

● آخر لحظة: فترة من الزمن هي الأكثر إخراجاً دائماً، يعيشها الإنسان بما كان يحمله من موروث محدّد له هويته عند الله حين لقائه، سماحة السيد: كيف تقيّمون هذه اللحظة من حياة الإنسان؟ - من الطبيعي أنّ الذي يؤمن بالدار الآخرة، لا بدّ له، عندما يقترب منها أو يعاين المشاهد الأولى لها، أن يستغرق فيما يُقبل عليه من خلال ما مضى منه؛ لأنّ دار الآخرة هي الدار التي تنكشف فيها الحقائق من خلال العقائد التي كان يعتقدّها أو المفاهيم التي كان يحملها أو الخطوط التي كان يتحرّك فيها أو العلاقات التي كان ينشئها ويتفاعل

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٢٣، ح ١، والحديث مروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله.

معها، ممّا كان يعتبره حقّاً وعدلاً واستقامة؛ ولذلك فإنّ من الطبيعي أن يعيش فيما يختزن في داخل نفسه من معنى الدار الآخرة شيئاً من القلق لما يُقبل عليه؛ لأنّ هذه اللحظة هي اللحظة الحاسمة في مصيره الذي ينتهي إليه. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإنّ هذه اللحظة الحاسمة تمثّل بالنسبة إليه اللحظة التي ينسى فيها كلّ هموم الدنيا وكلّ أحزانها وكلّ مشاكلها التي تتحرّك في ما يشغل الناس وفي ما يثيرهم وفي ما يدخلهم في الخلاف والنزاع؛ لأنّه سوف يكون في شغل عن ذلك كلّّه بالعالم الجديد الذي تختلف مقاييسه وقواعده واهتماماته عمّا كان.

لذلك فإنّي أتصوّر أنّي في تلك اللحظة سوف أعيش هموماً جديدة وتطلّعات جديدة وآمالاً جديدة؛ لأنّ هناك ضباباً مستقبلياً في ما يترأى لي، باعتبار أنّ الإنسان لا يستطيع أن يؤكّد كلّ عمله؛ فقد يخطئ في ما يعتقد الإصابة فيه، وقد ينحرف في ما يعتقد الاستقامة فيه؛ ولكنّ الإنسان المؤمن عندما يقبل على الساعة الحاسمة في الوقوف بين يدي الله يبقى يعيش في رحمة الله التي كان وجوده انطلاقة منها، وكانت كلّ حركات وجوده في أحضانها وآفاقها، ولذلك فإنّي أختزن في نفسي أنّ رحمة الله التي كنّا نعيش في تطلّعاتها في الدنيا هي رحمة الله التي نعيش فيها عندما نفتتح على الآخرة.

● هذه اللحظة.. هل تشكّل عنصر قوّة في شخصيّتكم، أم قد تنقلب الموازين، فتكون من أخرج لحظات الخوف من القادم؟

- من الطبيعي أنّ الإنسان الذي يتحمّس الغموض في مستقبله لابدّ له أن يعيش قلق المستقبل، لكنّ هذا القلق ليس قلقاً سلبياً يفترس الاطمئنان والإنسانيّة الإيمانيّة؛ لأنّ الإنسان الذي يعيش الخوف والرجاء، فإنّ الرجاء عنده يوازي الخوف، فإذا كنّ أخاف نتائج عملي فإني أرجو لعملي رحمة ربّي. ولهذا فإنّ المسألة عندما تتصل بالله، فإنّ القضية تتوازن في وجدان الإنسان المؤمن؛ لأنّ الله، الذي عرّفنا قدرته وسيطرته وهيمته وجبروته، عرّفنا رحمته ولطفه وحنانه وحلمه وكرمه.

لذلك أتصوّر أنّي إذا بقي لي هذا الإيمان حتّى اللحظة الحاسمة فإني لن أسقط أمام الخوف الذي هو الحالة الطبيعيّة؛ لأنّ الخوف الذي أعيشه أمام الله في الدنيا في ما أقبل عليه لم يكن خوفاً يتحرّك في زنزاة مغلقة، ولكنّه سوف يفتح على رحابة الرجاء.

تجربة القرب من الموت:

● هذه اللحظة ربّما كنتم قد اقتربتم منها في حياتكم.. كم مرّة كان ذلك؟ وكيف كان قلبكم وعقلكم عندها؟

— لقد عشّت هذه اللحظات في حياتي في أكثر من محاولة

اغتيال، وقد عشتها في الحالة المرضية الأخيرة^(١)، كما عشتها في أيام القصف المجنون الذي كان يهز المنطقة التي أعيش فيها ويقرب من البيت الذي أسكنه، كنت أشعر بالاستسلام للقدر القادم؛ لأنني في كل حياتي كنت أعيش ذلك^(٢).

وإنني أعتقد أنّ حالة الخطر ليست بأكثر من حالة الراحة؛ لأنّ الموت يأتي للإنسان في حالة الأمن كما يأتي إليه في حالة الخطر. لذلك من الطبيعي أن يشعر الإنسان في إحساسه المادي بالخوف على الحياة، وربما يعيش مرارة فقدان هذه الحياة في تلك اللحظات، لكن يبقى للإيمان دوره؛ لأنّ الإنسان يفتح على عالم رحب واسع في رحاب الله.

مع الأحبّة والأقرباء:

● في تلك اللحظة، الإنسان عادة لديه أشخاص يجب أن يراهم، يجب أن يُسرّ إليهم، يجب أن يوصيهم، مَنْ هم هؤلاء؟ وماذا يمكن أن تقول لهم؟

- من الطبيعي أنّ الإنسان يجب أن يجلس مع أقرب الناس إليه،

(١) قبل هذا الحوار بجوالي عام كان قد أصيب سماعته بنوبة قلبية.

(٢) وأخيراً، كان في لحظات الجنون الصهيوني في تموز ٢٠٠٦ صامداً في منزله (في حارة حريك في ضاحية بيروت الجنوبية)، فكان ملهماً لكل الصابرين الصامدين بوجه الآلة الصهيونية الممجيّة ضدّ الإنسان.

مع عياله وأولاده وإخوانه من أجل أن يعيش معهم لحظة الوداع، ومن أجل أن يوصيهم بالقيم التي كان يؤمن بها وبالخط الذي كان ينطلق فيه. ومن الطبيعي أن يعيش الإنسان في إحساسه البشري حرارةً في مفارقتة لأحبابه، وهذا ما يروى^(١) عن الإمام الحسن (عليه السلام) في لحظة الوفاة عندما كان يتحدث عن حرارة المؤمن لجهة عنصرين: هول المطلع وفقد الأختة.

من الطبيعي أن يشعر الإنسان في هذه اللحظة بأنه مجبور على أن يفارق أحبته من دون أن يُسمح له بالاختيار، ولكن الإنسان الذي يستحضر إيمانه في تلك اللحظة قد يفتح على جوٍّ حميم جديد لأختة يلاقيهم في الدار الآخرة ممّن فارقه، وهذا ما تؤكّده الرؤية الإيمانية التي لا تعتبر الفراق فراقاً أبدياً بالموت، وقد روينا أنّ عليّاً (عليه السلام) عزّى قوماً في ولد لهم، فقال لهم: «إنّ هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد

(١) في الحديث: لما حضرت الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الوفاة، بكى، فقيل له: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أتبكي ومكانك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أنت به، قد قال فيك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشياً، وقد قاسمت ربك مالك ثلاث مرّات حتّى النعل بالنعل؟! فقال (عليه السلام): إنّما أبكي لخصلتين: هول المطلع وفراق الأختة. [وسائل الشيعة، الباب ٤٥ من أبواب وجوب الحجّ، ص ١٣١، ح ٣١، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، بيروت، لبنان].

كان صاحبكم هذا يُسافر، فعُدّوه في بعض أسفاره؛ فإنّ قَدِمَ عليكم، وإلاّ قدّمتم عليه»^(١).

ولذلك، فإنّ فراق الأحبة لن يكون فراقاً أبديّاً، فسيقدمون عليه في أجواء الآخرة، وهذا ما حدّثنا به الله سبحانه وتعالى عن اجتماع الأحبة إذا كانوا صالحين: ﴿جَنَّتْ عَنِّي يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

حال القلب أمام غربة الموت:

● عند لحظة الوداع الممتلئة قلقاً، والمنفتحة على عالم الغربة؛ كيف يمكن أن يكون قلبك؟

- من الطبيعي أنّ الإنسان المسلم يعيش كلّ قيمه مع الله المطلق في كل شيء، ولهذا فإنّ هذا العيش مع الله يمثّل الامتداد الذي يعبر عنه باللانهاية؛ الأمر الذي يجعل الإنسان يعيش طفولة الحب والحنان بين يدي ربّه.

إنّني أشعر دائماً، عندما أتطلّع إلى رحمة الله وإلى عطفه وحنانه،

(١) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٨٣.

أتني أعيش في أحضان الله كما كنت أعيش في أحضان أمي وأبي، بعيداً
عن كل معنى للجسميّة.

لذلك - وأنا أشكر الله على هذا - أعيش دائماً هذه اللحظة
الحنونة بين يدي الله التي تجعل الدموع تنساب في عينيّ، ممّا يختلط فيه
الحزن بالفرح، والخوف بالرجاء.

إنّني أشعر بأحلى لحظات السعادة عندما تأتيني هذه اللحظة؛
لحظة التجلّي ولحظة التوجّه بين يدي الله، وهي من أحلى لحظات
حياتي؛ ولهذا فإنّني أشعر في بعض الحالات بأنّي أحبّ الله بعيداً عن
كل شيء، وهذا ما عبّر عنه في الخمسينات في بعض المناجاة:

ربيّ ما لي أبكي وما لي أغني	وحياتي تصدّ نجواك عني
أنا أهواك لا لنعماك تستهـ	وي كياني ولا لجنة عدن
أنا أهواك للهوى ترعش الرو	ح بأفيائه ويهتزّ لحني
للسماء الزرقاء تنساب منها	شعلة النور في جلال وفرّ
للصّبا يوقظ الصبابة في الأعماق	والحب في الضلوع يغني
أنا أهواك إن آثامي السود	ستنداح في شعاعك عني
أنا أدري بأن خلف ظلال المو	ت إن ثارت الغريزة سجنني

وبأني إذا اقتحمت لذاذاتي وأترعت بالغوايات دني
سوف أهوي إلى الجحيم ولكن أنا ارجو في ظلّ عفوك أمني
ربّ هذي حقيتي ليس فيها لي من قرّة سوى حسن ظني^(١)
وهكذا كنت أعيش هذه اللحظات في قصيدة اعتراف وابتهاال
أقول في نهايتها:

فإذا شئت أن تعذب جسми بغواياته فحسبي الدعاء
دع لساني يدعوك يا ربّ وافعل بي ما شئت فالدعاء هناء^(٢)
كنت أعيش هذه اللحظات؛ ولا أزال أعيش بعضها، وهذه هي
التي كانت ولا تزال تضمّد كلّ جراحتي، وتسدّ كل الثغرات في نفسي،
وتجعلني أقوى على مواجهة الصدمات والنكبات والافتراءات وما إلى
ذلك.

إنّ العيش مع الله هو «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر»^(٣).

(١) انظر: ديوان «قصائد للإسلام والحياة»، ص ٤٣، ط ٢، ٢٠٠١ م، دار الملاك، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: ديوان «قصائد للإسلام والحياة»، ص ٢٠.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٢٣، ح ١.

● ما هو الشيء الأهم الذي تحملونه لتقدّموه بين يدي رؤوف رحيم، وما هو أهم عمل كنت تتمنى أن تنجزه قبل ذلك الموقف ولم تستطع حتى الآن؟

- ليس عندي ما أثق بخلوصه مائة بالمائة من أعمالي التي قمت بها، ولذلك يبقى الخوف والرجاء يحكم تطلّعاتي إلى ذلك اليوم.

أمّا ما أحبّ أن أقدمه، أو ما أحبّ لو امتدّت بي الحياة أن أوصل السير فيه أو معه، فهو الرسالة.

إنّني عندما أفكر في كثير من اللحظات بالموت، أشعر بلوعة أنّي لم أكمل المشاريع الرسالية التي بدأتها. إنّ المهمّ الذي أعيشه الآن هو: كيف أكمل الزيادات في تفسير القرآن^(١) حتى يكون تفسيراً جامعاً، يمكن أن يعطي الناس صورة مشرقة عن القرآن.

كما أنّني أشعر بمرارة أن أنفصل عن مسؤوليّاتي أمام الناس؛ فأنا أحبّ دائماً أن أتحدّث إلى الناس وأن أعظهم وأرشدهم من أجل الإسلام ومن أجل الدعوة إلى الله، كما أنّي أحبّ أن أوصل خدماتي للناس في المشاريع التي وقّفتي الله سبحانه وتعالى لأكون مسؤولاً عنها.

(١) بحمد الله ووفق سماحته لإكمال الزيادات على تفسيره «من وحي القرآن» في السنوات اللاحقة لهذا الحوار، وانتهى من تنقيحه قبل فترة قصيرة من وفاته ﷺ، وسيصدر مجلّته الجديدة قريباً إن شاء الله تعالى.

لم أشعر لحظة واحدة أنني أخاف الموت من خلال حياتي الشخصية. لقد أصبحت في عمر وفي وضع لا أملك فيه شيئاً من اللذات الذاتية ومن الطموحات الشخصية إلا ما يمثل طموحاتي في إكمال رسالتي في الحياة؛ ولكنني لا أنطلق في هذا من حالة ذاتية كما لو كنت أفكر أنه ليس هناك غيري ممن يكمل المسيرة؛ ولكن هذه مشاعري.

إنني أحب أن أكون - لو وقفتني الله - السائر في خطّ رضاه، وأن أستزيد من القيام بالرسالة.

نشيد الموت:

● عندما نرجع بالتاريخ إلى أيام شبابكم نجد أنكم وفي الوقت الذي كنتم تعيشون فيه عنفوان الشباب تحدثتم عن هذه المرحلة بشعركم الوجداني، في قصيدة «نشيد الموت»، نحب أن نسمعها من أنفاسكم المحلقة.

سأموت

يغمر روعي الظمأى إلى وحي الخلود
إشعاع دنيا حرّة الآفاق تهزّ بالقليود
لا البغي يكمن في زواياها ولا غلّ الحقود
تتعانق الأرواح فيها كالأزهار والورود

سأموت

في قلبي خفوق ثار في بركان حبّي
وصراع آمال ذوت وهوت على أشواك دربي
كم رحت أطلب عندها نجوى الهوى ونشيد قلبي
فأرى بها ريّ الحياة يسير في روعي ولبي

سأموت

في شفتيّ إعصار وإحساس مريب
ودجى يمثّل يأسى الداجي وعالمي الغريب
ونفثة من صدري المحموم تعصف باللهيب
تركوها الآلام دامية مع الصمت الرهيب

سأموت

سوف يغور في عينيّ إشعاع الحياة
وتموت في أحداقي السكرى طيوف الغانيات
وتجفّ منها الأدمع الحيرى أمام النائبات
في رقدة الأبد العميق هناك في دنيا الممات

سأموت

سوف يضمّ أحشائي دجى اللحد العميق
وأنام لا أرق يهدّني ولا قلب خفوق
ملء الجفون رذاذ أحلامي وذوب من بريق
جمد الشعاع بمقلتيّ وجفّ من شفتيّ الرقيق

سأموت

والخطرات في روحي تموج مع الأثير
والحبّ والنجوى المذابة في كؤوس من عبير
والبؤس في شفتيّ يبعث فيهما الألم المرير
سيلفّها عدم المقيت وينجلي هذا المصير^(١)

● يقفز هذا السؤال بإلحاح غامض بعد هذه القصيدة: وأنتم
تعيشون عنفوان الشباب كيف كانت مشاعركم حتى كتبت في
أجواء الموت؟

- منذ أن فتحتُ عينيّ على الحياة كنت أطلّ على شاطئ الموت

(١) انظر: ديوان «على شاطئ الوجدان»، ص ١٠١، صادر عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

في «وادي السلام»؛ لأنّ وادي السلام هو المقبرة التاريخية الرحبة التي تمتدّ إلى صدر الإسلام، والتي كان عليّ عليه السلام يخرج إليها بين وقت وآخر ويخاطب الأموات في آفاقهم الروحيّة، والتي تحتضن أمواتاً جديداً في كلّ يوم عندما تأتي الجنائز من سائر أنحاء العراق أو من أكثر من مكان في العالم لتدفن هناك.. وهكذا كنّا نلتقي في كل يوم بهذه الجنائز لتدفن إلى جانب مقام الإمام عليّ عليه السلام في الصحن الشريف، ولهذا كنّا نلتقي بالمتّين في كلّ صباح ومساءً، ممّا يجعل الإنسان يعيش آفاق الموت.. وهكذا كنّا نعيش في أجواء الفراغ^(١) الاحتفالات بالكبار من المتّين، وكنّا نستمع إلى القصائد التي تلقى لرتاء مرجع هنا ومثقف هناك ووجيه هنا، ولذلك كنّا ننطلق في شاطئ الموت.

ولقد كان الموت يختلط بالحياة عندنا، ويعيش الإنسان مخاوف من التصرّوات في هذا الجوّ المليء بالكآبة الذي لا فرح فيه إلا فرح هذا الامتداد في الصحراء التي تشرق عليها الشمس.

ومن الطبيعي أنّ الشاب عندما يعيش في أجواء الإحساس بالمتّين لا بدّ أن يشعر بالصدمة؛ لأنّ الموت يقتل كلّ تطلّعات شبابه ولا يفتح به على المستقبل؛ فلذلك فإنّ من الطبيعي أنّ «نشد

(١) الفراغ من الدرس والتحصيل في حوزة النجف الأشرف.

الموت» في الشباب يختلف عن نشيد الموت في الكهولة والشيخوخة؛ باعتبار أنَّ الشباب قد لا يعيش هذه الآفاق الروحية التي تهون عليه مشاعر الانفتاح على الموت.

● الموت هو مقياس للإنسان؛ فإن كان موت الإنسان يمثل الخسارة الحقيقية في الواقع، فهو مَن له قيمة في إنسانيته؛ وإن كان موته كحياته، أو لا يمثل واقعية، فهو مَن لا قيمة له. ما تقيّمكم لهذه النظرة؟

- صحيح. إنّ هناك أناساً يموتون قبل أن يموتوا، وهناك أناس يبقون في الحياة حتى بعد الموت؛ لأنَّ قضية حياة الإنسان تُقاس بقدر ما يتّصل الأمر بتأثيره في الناس من حوله، فمن الطبيعي أن يبقى حياً في الوجدان ما دام عطاؤه يمتدّ إلى ما بعد الموت؛ وهذا ما عبّر عنه الإمام عليّ عليه السلام عن العلماء: «والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»^(١).

● بالنسبة لكم وباعتقادكم كم هو حجم الفراغ الذي يمكن أن يشكّله غيابكم وهل تعتقدون أنَّ السيد فضل الله سيبقى رمزاً إسلامياً إنسانياً؟

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٦، من كلام له لكميل بن زياد في العلم والعلماء، شرح محمد عبده.

- من الطبيعي أن أي شخص يعيش حركة التجربة في حياته، عندما يمتد به العمر ويدخل ساحة الصراع، فإنه يحمل في شخصه أكثر مما يختزنه شخصه من فكر ومعرفة؛ لأن امتداد التاريخ في حركة الشخص يمنحه الكثير من الغنى الذي قد لا يكون من صناعته، بل قد يكون من خلال حركة الظروف المحيطة به والواقع الذي يتحرك فيه.

لذلك، إنني أتصور أن هذه الحياة التي عاشت في مدى خمسين سنة حتى الآن في ساحة الصراع، يمثل غيابها بعض الخسارة للتجربة الغنية التي قد لا تحدث للكثيرين؛ لأن طبيعة الظروف التي عشتها قد لا يستطيع أحد أن يعيشها؛ باعتبار أنها تمثل الكثير من الحركة والكثير من الآفاق ومن الأفكار والمشاعر والأحاسيس والأحداث، مما قد يدخل في عمق التجربة الإنسانية، تماماً كما هو العطر في الورد، الذي لا يستطيع أن تتحدث عنه بما يمكن أن يمثل مشاعرك في انفعالك به.

إننا عندما نفقد أي إنسان فاعل في الحياة؛ فإننا نفقد الكثير من عناصر شخصيته في معنى التجربة في مشاعره وأحاسيسه، أكثر مما نفقد فكره الذي ربما يجسده في كتاب أو في أثر فني أو أدبي أو ما إلى ذلك.

- ماذا سيفعل الواقع بعد رحيل المرجع السيّد فضل الله؟
- من الطبيعي أنّ أيّ واقع يتجاوز مرحلة لا بدّ أن يستفيد من تلك المرحلة؛ لأنّ الحياة ليست في تراجع، ولكنها في تقدّم.
- لكنّ المسألة هي غياب الأسماء الكبيرة عن الساحة في الوقت الحاضر.
- قد ينطلق الواقع بأسماء جديدة لم تكن واضحة في الوجدان العام.



اللقاء مع الله

● ربما يشعر الإنسان بشوق إلى الكثير مما يسمع عنه في عالم الخلود. ما هو أكثر ما يمكن أن تشتاق إليه في ذلك العالم؟

- من الصعب جداً أن يستحضر الإنسان في الدنيا أجواء العالم الآخر؛ لأنّ عالم الدنيا هو عالم الحسّ الذي قد يرتبك بالمحسوسات، التي قد تجتذب مشاعره وأحاسيسه واهتماماته، بينما قد لا تكون المسألة بهذا الحجم في الآخرة.

لذلك ما أتصوّره الآن هو أن أتحمّس الله في وجداني، حيث أملك عالماً جديداً في العيش معه وفي التطلّع إليه وفي الحديث معه؛ لأنّنا، ونحن في الدنيا في شوقنا إلى الله، لا نستطيع أن نتمثّل شيئاً منه إلا من خلال أحاسيس الفطرة التي نبقى نعيش معها في ضباب، بالرغم من اليقين والاطمئنان لوجوده ورعايته للكون كلّ.

إنّ الله يحدثنا في القرآن عن شيء روعي في معناه بحيث يمثّل المستوى الأكبر من كلّ نعيم الجنّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ

مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢]. إنني أشتاق إلى أن أتحسس أكثر من ذلك، وأن أعرف الله أكثر من ذلك.

أما قضية لذات الجنة ومجتمع الجنة، فإنني أتمثلها بما يمثلها القرآن، وقد أجد في نفسي شوقاً أن أعيشها هناك: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

إن من الطبيعي أن يشترك الإنسان إلى أحبابه من خلال ما يستشعره في الدنيا من خلال فقدهم والشوق إلى لقاءهم من جديد. من الطبيعي أن يشترك الإنسان إلى الحياة الطبيعية التي أدمنها وتعود عليها؛ باعتبار أن الوحدة تمثل غربة للإنسان..

ولكني وأنا في الدنيا أعيش حركة العمل: أن أجري نحو هدف، أن أعاني، أن أتحرك.. وأتساءل: هل هناك مجال للعمل هناك؟ أو أن الحياة هناك سعادة لا طعم فيها للشقاء، كما يصورها لنا القرآن: راحة لا مجال فيها للتعب؟ ولكن هل يبقى الإنسان هناك فارغاً، أو هناك ما يملأ عقله وفكره وروحه وشعوره، بحيث لا يفكر بشيء آخر؟ وأستحضر في ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٧] .. هل نكون من هؤلاء؟ .. أو الحديث المعروف: «فيها ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر»^(١).

ربما يتحرّك شوق الإنسان إلى ما في الآخرة من خلال المفردات التي يعيشها في الدنيا، ولكن هل هي مفردات الآخرة؟ وهل أنّ الحديث عن الجوانب الحسّية في الآخرة حديث عن حقيقة حسّية هناك كما هو ظاهر في القرآن؟ أو أنّه حديث عن تقريب للصورة من قبيل وسائل الإيضاح؛ لأنّ عالم الآخرة هو عالم آخر في كل صورته وفي كل تطلّعاته وفي كل لذّاته؟ عالم بعيد عن الحسّ، ومنفتح على النور، ماذا هناك؟ إنّنا نشتاق إلى أن نتعرّف ماذا هناك.

● في جو آخر، حين تلتقي إن شاء الله مع جدتك الزهراء (عليها السلام)

ماذا تتصوّر أن تقول لها؟

- إنّني أعتقد أنّي أقول لها:

لقد عشتُ معكِ طيلة حياتي مع كلّ الطهارة التي تمثّل الإنسان الطاهر بكلّ مواقع الطهارة.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٢٣، ح ١.

لقد عشتُ معكِ في كلّ خطّ الوعي الذي تجسّد فيك كأوّل امرأة عاشت الوعي الحرّكي في الإسلام، من موقع المسؤولية، ومن موقع العصمة.

لقد عشتُ معكِ في كلّ ظلامتك، التي كانت هي ظلامّة الحقّ من خلال اضطهاد الباطل.

لقد عشتُ معكِ من خلال الإنسان الذي استطاع أن يرتفع بالمرأة إلى موقع العصمة، وأن يرتفع بالمرأة إلى مستوى الوعي، وإلى مستوى الطهارة النقيّة، وإلى مستوى المسؤولية المتحدّية الشجاعة الصلبة، وإلى مستوى العلم المنفتح على كلّ حقائق الإسلام.

لقد عشتُ معكِ وتحدّثت عنك بغير ما يتحدّث به الكثير من الناس، سواء ممّن يُغالون فيكِ، أو ممّن يبتعدون عنك.

لقد عشتُ معكِ لأصوّر للناس سيّدة نساء العالمين بالصورة التي يحترّمها العالم الإنساني، في كلّ زمان ومكان، وينحني لها، من خلال ما تتمثّله من آفاق العظمة في شخصيّتها المنفتحة على أكثر من جانب.

● أليس ثمة شكاية تبثّ بها إليّ؟

- إنّي أعتقد أنّنا هناك إذا عشنا مع الله رحمته ولطفه.. فإنّنا لا

نعيش معنى الهمّ والشكاية؛ لأنّ هناك عالماً جديداً يجعلنا ننسى ما عشناه هنا.

● في الحياة عشتَ الحبّ الدافع لكلّ إنسان أقبلتَ عليه بقلبك وروحك وحركتك، ما الذي ستعطيه لهؤلاء في ذلك اليوم؟ - إذا كان لدي ما أعطيه فسأعطيهم الحبّ من جديد؛ حبّ الأخوة، وحبّ الله الذي نلتقي عنده جميعاً، وحبّ الإسلام الذي يضمّننا جميعاً.

إنّ إحساسي بالحبّ هو إحساسي بإنسانيّتي، ومن الطبيعي ألا أفقد إنسانيّتي هناك.

● لو أذن الله تعالى لك بالشفاعة هناك فلمن ستشفع؟ - ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. إنني سأطلع إلى مستوى الإذن وحجمه.

● هناك وفي القرآن الكريم يقف العبد الصالح في عالم الخلود فيقول: ﴿يَا أَيَّتُهَا قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧] ماذا يمكن أن تقول هناك؟

- إذا قدر الله لي أن أكون في هذه المرتبة، فسأقول نفس القول؛

لأنِّي لا أجد نفسي أحمل حقداً لأحد، حتّى الذين يختلفون معي في الفكر؛ لأنّني أحبّ لهم أن يهتدوا إلى الله، وأن يفتحوا عليه، وأن يتّقوه ويلتزموا بخطّه.. ولذلك فإذا رزقني الله ذلك، فإنّي سأقول: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

● حين تلتقي بالمرحلة التي تلي الموت مع مَنْ ظلمك، هل تعفو أو تقتص؟

- عندما أحسّ بالعطف في حياتي الآن، فكيف يمكن أن أفكر بالانتقام في الحياة التي أحتاج فيها إلى عفو الله وأقدّم عفوي عن الناس كوسيلة لعفو الله، على هدي الكلمة الواردة في دعاء أبي حمزة الثمالي، المنسوب للإمام زين العابدين (عليه السلام): «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ الْعَفْوَ وَأَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَأَعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا»^(١).

إنّني من جانب الحقّ الشخصي، عفوت عن هؤلاء من الآن، ولكنّ الحقّ العامّ بيد الله؛ لأنّ هؤلاء في كلّ ما قالوه وفعلوه أساءوا إلى الأمة.



كلمات ووصايا

أولاً - إلى العالم الإسلامي:

— إنني أوصي - إذا كان من حقي أن أطلق الوصايا - العالم الإسلامي أن يحافظ على معنى الإسلام في عالميته؛ أن يكون عالماً إسلامياً يحمل الفكر الإسلامي إلى الناس، ويحمل المحبة الإسلامية إلى الإنسان، ويحمل المسؤولية الكبرى في كل القضايا التي تتصل بالحياة من أجل «أسلمة الحياة» في الخطّ الأصيل للإسلام الذي يؤكد الوعي ويؤكد الانفتاح.

أوصي العالم الإسلامي أن يتخفف من كلّ أثقال التخلف، ومن كلّ أثقال الجهل، ومن كلّ أثقال التمزّق.

أوصي العالم الإسلامي بأن لا يجعل من الاختلاف المذهبي وسيلة من وسائل إسقاط الأخوة الإسلامية، بل أن يواجه الاختلاف المذهبي كحالة ثقافية تتنوع فيها الأفكار، وتختلف فيها وجهات النظر؛ ليكون الحوار هو الأساس في حلّ هذه المشاكل، على طريقة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ وذلك

بأن نخلص لما قاله الله، فلا نتعصب للخطأ إذا كان موقفنا خطأً، وأن نخلص لما قاله الرسول، فلا نتعصب للخطأ إذا عشنا فيه، بل أن نطلق مع الله والرسول بكلّ فكر منفوح، وبكلّ فهم واع، وبكلّ موقف مسؤول، وبكلّ تقوى في الفكر.

ثانياً - إلى الحركات والأحزاب الإسلامية:

من الطبيعي أن التطورات الثقافية والسياسية في العالم دفعت بأساليب جديدة في التحرك، الذي يستهدف تغيير الذهنية الإنسانية لمصلحة هدفٍ سياسيٍّ كبير، قد يصل إلى مستوى إنتاج الدولة على صورة هذا الهدف، أو إنتاج المجتمع على صورة هذا الهدف، تبعاً لطبيعة الهدف وامتداداته في الواقع، مما يجعل ضرورة إلى أن يدخل المسلم في هذه التجربة الحركية؛ فإذا كان الآخرون يؤسسون أحزاباً من أجل أن يؤكّدوا أهدافهم في داخل المجتمع على الصعيد الثقافي والصعيد السياسي والاجتماعي، فإنّ من الطبيعي أن يأخذ المسلمون بهذا الأسلوب، على قاعدة «لا يُنشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال»^(١)...

(١) كلمة للسيد عبد الحسين شرف الدين.

وكنْتُ أفكّر أنّ علينا أن نفسح المجال للحركة الإسلامية السياسية التي تحتزن في داخلها الحركة الإسلامية الثقافية؛ لأنّ السياسة في كثير من الحالات تفسح الطريق إلى الثقافة كما أنّ العكس قد يكون صحيحاً..

ولكّني - في الوقت نفسه - لم أجد هناك ضرورة لأن نأخذ بكل الأساليب والوسائل والعناوين التي يلتزمها الآخرون في الحركة السياسية؛ لأنّ للإسلام خصوصياته التي تختلف عن الخصوصيات العلمانية وشبه العلمانية..

ولذلك، فإنّ على العاملين للإسلام أن يواجهوا الكثير من وسائل الصراع التي قد تفرض أن تؤسس حزباً، ولكن ليس من الضروري أن يكون على شاكلة الأحزاب السياسية، بل أن تأخذ من المنهج الإسلامي الوسائل والأساليب والمفردات التي يمكن أن تؤسس فيها نوعاً من أنواع الحزبية الإسلامية التي تخرج عن دائرة العصبية، وتتحرك في الخطوط الإسلامية والثقافية والسياسية.

إنّ على الحركات الإسلامية أن تعيش معنى الحركة الإسلامية في كلّ مواقعها، وأن لا تتجمّد في مذهبياتها وإقليمياتها، بل أن تعمل

جاهدة من أجل الحركة الإسلامية الواحدة، ومن أجل القضايا الإسلامية الموحدة.

ثالثاً - إلى الجيل الرسالي:

إنني أعتز بكل هذا الجيل الذي شاركت في صنع فكره، وقمة الاعتزاز عندي في هذا الجيل المجاهد الحركي، سواء الجيل الذي انطلق في الحركة الإسلامية في العراق وامتد إلى أبعد منها، والجيل الذي انطلق في لبنان واستطاع أن يحرر لبنان من الاحتلال.

إنني أشعر بأنني موجود في كل حركة شهيد، وفي كل انطلاقة مجاهد، وفي كل انفتاحة هذا الجيل الذي ينطلق سياسياً وثقافياً.

إنني عندما أفارق الحياة، أشعر بأنني موجود في كل هذه الطلائع بنسبة معينة، ولا أدعي أنني أستقطب وجود هؤلاء، ولكن أشعر أنني جزء من حركتهم الجهادية والسياسية والثقافية، وأرجو أن لا أكون قد أخطأت في فكرة غرستها هنا، وفي شعور انفتحت فيه هناك.

ولا بد لكل هذا الجيل أن يعيش على أساس أن يصنع المستقبل في خط الإسلام، وأن يكون حركة دائمة في اكتشاف الحقيقة وفي السير من خلال وضوح الرؤية.

إتني أعيش الآن - في تطلّعاتي إلى المستقبل - المرارة بأقصى ما تكون؛ لأنّ الجوّ الذي ينطلق به خطّ أهل البيت عليهم السلام لدى بعض الذين يزعمون أنّهم القائمون عليه لا ينسجم مع الخطّ المعتدل والتمرقة^(١) الوسطى التي أراد لنا الأئمة أن ننظر إليهم فيها. إنّي أتصوّر أنّ المستقبل الذي يعيش من خلال حركة هؤلاء هو مستقبل مرعب على مستوى مستقبل هذا الخطّ..

ولكّني في الوقت نفسه أجد في بعض الطلائع الشابة المنفتحة على الوعي وعلى الفكر أملاً كبيراً في أن تدخل ساحة الصراع، وأن تكمل ما بدأناه من خلال عصر النهضة الذي تمثّل في الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر والشهيد مطهري.. وإنّنا بدأنا طريقنا المملوء بالأشواك والألغام، وأعتقد أنّنا انتصرنا في تحقيق الكثير ممّا بدأناه بالرغم من كلّ حالة التجنّي وحالة التعسّف وحالة الكذب والتشويه؛ بل إنّني أتصوّر أنّ الذين وقفوا هذا الموقف السلبيّ ممّا استطاعوا أن ينشروا كلماتنا وأن ينيّهاوا الناس على ذلك، ولو من خلال سبابهم وشتائمهم واتّهاماتهم؛ ولذلك فإنّي في الوقت الذي أجد فيه أنّ منطقة هذا الظلام الفكري قد تتجاوز حياتي إلى ما بعدها، فإنّني أجد أكثر من نقطة نور يُمكن أن تشقّ هذا الظلام في المستقبل.

(١) الوسادة الصغيرة، أي محل الاعتماد من الأطراف.

وإني أطلب من أبنائي وبناتي وأحبابي من هذا الجيل الشاب الذي أريد له أن يدخل ساحة الصراع من موقع قوة، ومن موقع وعي، أن يتابع خطّ الوعي، وأن يتحمّل، وأن لا يسقط تحت تأثير هجمات التخلف؛ لأنّ المعركة هي معركة التخلف والوعي، ونعتقد أنّ حركة الوعي سوف تنتصر ولو بعد حين.

رابعاً - إلى القيادة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

إنني أقول لهم - إذا كنت في موقع الوصية لهم - إنّ عليهم أن يفتحوا على الواقع الإسلامي كلّه؛ باعتبار أنّهم يضعون أنفسهم في موقع القيادة للمسلمين، وهم يعلمون - ونحن نعلم - أنّ موقع القيادة للمسلمين لا بد أن ينظر إلى المسلمين بعينين مفتوحتين، لا أن ينظر لهذا بعين تختلف عن العين التي ينظر بها لذلك.

أن تكون القيادة الإسلامية في موقع وعي السرّ النبويّ والخطّ الإمامي.

خامساً - إلى المرجعية الشيعية:

المرجعية الشيعية هي القاعدة التي يُراد من خلالها أن يتحرّك المرجع الكفوّ الواعي المنفتح، الذي يريد أن يُدخل التشيع في العالم

المعاصر، بكل أصالته الفكرية، بعيداً عن كلّ الزوائد وعن كلّ خطوط الغلو والانحراف، من أجل أن يقدم للعالم الإسلام في خطّ أهل البيت (عليه السلام)، بالطريقة التي يشعر فيها العالم بأنه قادر على أن يحلّ مشاكل الناس في الحياة.

المرجعية الشيعية هي المرجعية التي تحاول أن تجمع الشيعة على خطّ الإسلام في خطّ الوعي، وأن تتخفّف من كلّ وحول التخلف وخطوط الجهل، وأن تكون القائدة للعامة، لا أن تكون العامة هي القائد لها، كنتيجة لبعض الحساسيات وبعض المطامع وما إلى ذلك.

أن يشعر المرجع أنّه يجلس في موقع الإمام الذي هو موقع النبيّ.

أن يشعر معنى النبوة في شخصيته، ومعنى الإمامة في موقعه.

أن يكون كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

سادساً - إلى الجليل الحوزوي:

إنني أعتقد أنّ هناك الكثير من النماذج الواعية في الحوزة التي لو انضمت إلى بعضها البعض لأمكنها أن تعطي موقع قوة. ولهذا فإنّي أنصح

بأن تتكامل هذه الطاقات، من جيل متقدّم يملك وعياً، ومن جيل متحفّز يحاول أن يتحرّك في مدارج الوعي، فإنّ علينا أن نستنفر مواقع القوّة عندنا، وأن نصبر، وأن نتابع المسيرة، وأن نبحت عن ثغرة هنا وثغرة هناك؛ لأنّ الجمود موت والحركة حياة. وعلينا أن نبقي في حركة دائمة؛ إذا سدّ علينا الباب من جهة فعلينا أن نعمل على أن نفتح أكثر من باب، وإذا لم نستطع أن ندخل من الباب فعلينا أن ندخل من النافذة.

المهمّ أنّ علينا أن نحمل مسؤوليّة الإسلام من أجل المستقبل، ومن أجل الإنسان في الحاضر والمستقبل.. وأن نتحمّل كلّ النتائج السلبية التي يفرضها علينا ذلك.. إنّي أتصوّر أنّ من الصعب جداً أن نصل إلى الأهداف الكبرى ما لم نتحمّل الكثير من الجراح والآلام والصدمات والإسقاطات، وعلينا أن نفتدي بالأنبياء والأئمّة، ولا سيّما النبي ﷺ الذي رُجم بأكثر من حجارة، في كلام الشتيمة وفي الاتهامات التي لا تتناسب مع النبوة، حتّى رمي بالجنون، ومع ذلك قال الله له: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾ [الشورى: ١٥]، واستقام كما أمر، واستطاع أن يفتح العالم على الإسلام، وعلينا أن ندعو ونستقيم لنفتح العالم على الإسلام حتّى لو وقف أمامنا المتخلفون والضالّون

والكافرون والمستكبرون؛ ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

سابعاً - لأصدقاء الأمس:

لقد بدأتُ وبدأنا معاً العمل على أساس التحرك من أجل إيجاد حركة الوعي في الأمة من خلال الإسلام، بأن تعي الأمة إسلامها في الخطّ الأصيل، وهو خطّ أهل البيت (عليهم السلام)، من أجل أن نؤصل الخطّ الإسلامي بما نملك من طاقات ثقافية، ونؤصل خطّ أهل البيت (عليهم السلام) بما نملك من هذه الطاقات، ونفتح درب للسالكين في هذا الاتجاه، ثم أن نعمل على أن يكون الإسلام قاعدة للفكر وقاعدة للحياة.

وقد سرّ في هذا الاتجاه، لم أنحرف عنه قيد شعرة، وقد عانيتُ ما عانيت من حرب المستكبرين والصهاينة والمتخلفين؛ وقد يثقلني كثيراً أنكم كنتم إلى جانب المتخلفين؛ هؤلاء الذين لم يعيشوا الإسلام فكراً وحركة، بل عاشوه موادّ جامدة، لا يعملون على أن يعطوها حيويّتها الفكرية والروحية، وهؤلاء الذين لم يدرسوا الإسلام دراسة مفهوميّة، وأكاد أقول إنّ الأكثرية منهم - وهم في المواقع العليا في الحوزات - لم يدرسوا العقيدة الإسلامية والعقيدة المذهبية الشيعيّة

دراسة علمية، كما درسوا «المعنى الحرفي» و«الترتب»^(١) وما إلى ذلك. ولهذا، فإنهم عندما يتخذون موقفاً فإنهم لا يتخذونه من موقع علم، بل إنهم يتحركون مع العوام في كثير مما يجتذب مشاعر العوام.

إنه يشغلني أنكم في موقع واحد، وأنكم دخلتم في تحالف غير مباشر وغير مقدس معهم في الموقف مّي، وأنا أعمل من أجل إدخال الإسلام ومذهب أهل البيت إلى الجيل المعاصر في الشرق وفي الغرب، من حيث تقديم الصورة المشرقة التي تلتقي وتعالج مشاكلهم من خلال الإسلام، ومن خلال تراث أهل البيت عليه السلام. وإذا كان بعضكم قد يشكك في موقعي الاجتهادي، وأنا أعرف أنكم قد صرّحت بذلك أكثر من مرة لأكثر من شخص بالصوت العالي، فإنه ليست عندي مشكلة أن يكون لكم شك في ذلك، ولكن لماذا تؤكّدون على المسألة في هذا الجانب وتحاولون أن تبعدوا الناس الذين يؤمنون بذلك، في الوقت الذي لا تتحدّثون بكلمة عن الآخرين الذين تعتقدون عقيدة سابقة ولا حقة بأنهم ليسوا بهذا الموقع؟!

(١) عنوانان لبحنان أصوليان يمثّلان التعمّق في التفكير الأصولي الذي أحياناً ما يفرق في الدقة التي تلتقي بالتجريد مما لا يملك امتداداً في الأثر العملي الأصولي الذي يطبق عملياً في الفقه، كما في المعنى الحرفي مثلاً.

إنّني لم أستطع أن أفسّر ذلك إلا بحالة الطوارئ من العقدة.
وأقول لكلّ الذين أثّروا الحرب ضديّ بالكثير من الكلمات غير
المسؤولة، أقول لهم: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١)، «اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِقَوْمِي إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(٢)..

إنّ مشكلتي معكم ليست مشكلة ما تحدّثتم به، ولكنّ مشكلتي
معكم أنّكم لا تعرفون النتائج السلبية التي أحدثتموها في واقع الإسلام في
خطّ أهل البيت عليه السلام؛ فقد صنعتم فتنة لا تركز على أساس، بل لمجرّد
أنّ هناك حالات شخصيّة في دائرة ضيّقة ليس فيها من الدّين شيء،
وليس فيها من التقوى شيء.

لا كلمة لي سوى أن أقول: أسأل الله أن يهديكم سواء السبيل،
وأن يوفّقكم للتقوى، ولتطبيق ما درستموه وتدرّسونه من الفقه في أكثر
ما يتّصل بهذه الحملة الظالمة.

● في نفس الوقت كان هناك مجموعة ممّن تربّوا على أيديكم،
كانوا بمثابة أبنائكم في فترة من الفترات، وفي أجواء التّواتر وبعد
إعلان مرجعيّتكم انجرفوا مع التّيّار ووقفوا ضدّكم!!

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٠، ٢١.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٦، ١١٧.

- إنَّ هؤلاء على أقسام:

هناك القسم الأكبر، وهم الذين انطلقوا من أجل طموحاتهم أو مطامعهم الشخصية التي رأوها لدى الفريق الآخر مالياً أو جاهياً، فانجرفوا في هذا التيار؛ لأنه أريد لهم أن يبتعدوا أو يهاجموا أو يتهموا.

وهناك الذين تحدّث الله عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وهناك الأشخاص البسطاء الطيبون الذين لم يستطيعوا الثبات أمام هذه الهجمة، ولم يملكو الثقافة التي يستطيعون بها أن يواجهوا الأمور من موقع دراسة عميقة، أو من الذين سقطوا تحت تأثير الإرهاب الفكري والتهديد في أرزاقهم وفي مواقعهم..

ولذلك فإنّي لا أزال أحمل لهم كلّ محبة و أدعو الله لهم بالهداية، لا لحساباتي الشخصية، ولكن لأنّي أجد أنّ هؤلاء الذين قد يتخذون كما اتّخذ بعضهم لأنفسهم مواقع في الساحة الإسلامية، قد يُضِلُّون النَّاسَ من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وقد يدخلون في حرب مع خطأ الوعي لمصلحة خطأ التخلف؛ لأنّني أجد أنّ الساحة تنحدر إلى حالة من الغلوّ في العقيدة، والانحراف في الخطّ، والتخلف في فهم الأشياء.

ثامناً - لأهل الكتاب:

إننا نلتقي بالله؛ لأننا لا نختلف معكم في الله الواحد، وإن كنا نختلف معكم في شخصيّة هذا الإله.. وأننا نلتقي معكم في أنّ الإنسان في إنسانيّته لا يمكن أن يكون ربّاً؛ لأنكم تعتبرون أنّ ربوبيّة عيسى هي من حيث تجسيد الربوبيّة فيه لا من حيث إنسانيّته.

تعالوا لنتقي على الكلمة السواء، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَمَآلَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَٰتٍۭ سَوَّيْمٌۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَآبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوا۟ ءَآمَنَّا بِٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةًۭ لِلَّذِينَ ءَآمَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةًۭ لِلَّذِينَ ءَآمَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ إِنَّا نَصْرِيّٓ ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وإنّ ما نلتقي عليه في الواقع الحيّاتي الإنساني، فيما هي القيم الروحيّة والأخلاقيّة، في الخطوط العامّة للقيمة الدينيّة قد يصل إلى

٨٠%؛ فليس هناك صدقٌ مسيحيّ يختلف عن صدقٍ إسلاميّ، وليس هناك عفةٌ مسيحيّة تختلف عن عفةٍ إسلاميّة، وهكذا..

تعالوا لنلتقي على الكلمة السواء، في الإيمان بالله الواحد، وفي مواجهة الاستكبار العالمي، الذي يحاول فيه المستكبرون أن يجعلوا أنفسهم أرباباً للناس، من خلال طريقتهم وخطوطهم الفكرية والسياسية والاجتماعية وما إلى ذلك..

وتعالوا إلى الدائرة العلمية، نبحث في اللاهوت بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالجدال بالتي هي أحسن، في شخصيّة عيسى عليه السلام، الذي نرى أنّه عبد الله ونبيّه، والذي ترون أنّ الله تجسّد فيه، وما إلى ذلك. إنّ علينا أن نطلق الحوار في دائرة العلم، لا في دائرة الغوغاء، وعلينا أن نلتقي في الحياة على ما يوحد بيننا، ونلتقي في الخطوط الدينية على الكلمة السواء.

وأما الحوار الإسلامي اليهودي، فمشكلتنا مع اليهود هي مشكلة «إسرائيل»؛ لأنّ اليهود في العالم بشكل عامّ - مع بعض التحفظات - يلتزمون «إسرائيل» جملة وتفصيلاً. لذلك نحن نقف أمام قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إنَّ مشكلة اليهود أنَّهم - بلحاظ الدائرة الإسرائيليَّة التي يلتقون عليها - دائماً كانوا ظالمين، ومن الصعب جداً أن تحاور الظالم؛ لأنَّ الظالم يريد أن يفرض عليك بوسائل القوَّة، ولا يريد أن يدخل معك في حوار.

تاسعاً - إرث المشروع والمؤسسات:

إنَّني أتصوِّر أننا لا نستطيع أن نتحدَّث عن وارث بمعنى الشخص، أو معنى جماعة، ولكن الإنسان عندما يعيش أيَّ تجربة مميزة أو فاعلة، فإنَّ التجربة تتحوَّل إلى تاريخ يمكن أن ينطلق في تجربة جيل أو جماعة أو شخص.

إنَّنا لا نستطيع أن نشير إلى شخص معيَّن أو جماعة معيَّنة في معنى الإرث للشخص؛ لأنَّ الشخص لا يورِّث باعتبار أنَّ التجربة قد تكون من خصوصيات حياته؛ ولكنَّ نتائجها، وامتدادها، والسير في خطِّها قد تحتاج إلى ظروف جديدة وأشخاص آخرين.

ولذلك فإنَّنا عندما نفقد الكثير من الأشخاص الفاعلين قد ننتظر

وقتاً طويلاً ريثما تتحرّك نتائج تجربتهم أو امتداد مسيرتهم في معنى الجيل الذي يأتي.

وأما المؤسّسات، فإنّي أحاول أن أخطّط لأن لا تكون المشاريع إراثاً شخصياً يرثه الأبناء والأحفاد، ولكّني أحاول أن أجعل المؤسّسة مؤسّسة، بحيث يتوقّر عليها أناس مؤمنون، وأن تكون هناك قوانين تحميها من الاستئثارات الشخصية.

عاشراً - الوصيّة الشاملة:

● الكثير من عاشوا معك في حياتك يتطلّعون لوصيّة شاملة تتحدّث عن كلّ تطلّعاتهم، آمالهم، آمالهم... هل عندكم مشروع في هذا المجال؟

- ليس هناك مشروع تفصيلي؛ ولكّني أقول لهم كونوا المسؤولين في الحياة.

الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يجعل الحياة فرصة للهو والعبث ولم يجعلها مناسبة للذة والشهوة، ولكنّ الله جعل الحياة حركة في خطّ المسؤولية، من أجل أن تكون للإنسان رسالته في الحياة، في إغناء الحياة بالحق، وتحريكها نحو العدل، وفي ربط الوجود الإنساني بالله.

إنَّ معنى أن تعيش إنسانيتك هو أن تعيش مسؤوليتك.

كونوا المسؤولين في كلِّ ما تعملونه وتقولونه وتنشؤونه من علاقات؛ لأنَّ غداً هو يوم مواجهة نتائج المسؤولية، يوم نقف بين يدي الله لينطلق النداء: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، و﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].



في حفل التأبين

● لو قدّر لك أن تلقي كلمة في الحفل التأبيني الذي يقام
لسماحتكم - بعد عمر طويل إن شاء الله - ماذا يمكن أن تقول؟
- من الممكن أن أقول:

إنّ هذا الإنسان عاش حياته منفتحاً على الرسالة منذ أن فتح
عينيه على الحياة، وعمل على أن يتحرّك في خطوطها حتى في بداية
طفولته أو في مستقبل طفولته وشبابه، وعانى وتألّم في درب الرسالة،
وكان يحاول أن يكون صادقاً وأن يكون مخلصاً، وربّما كانت النفس
الأمّارة بالسوء تأخذ عليه ما يأمله، ولكنّه أكمل الرسالة بحسب طاقته،
وواجه الكثير من العنت والتعسف ممّا يواجهه الرساليّين. وكان في كلّ
حياته منفتحاً على الله ويأمل برحمة الله.

كنت أقول للناس:

إنّ عليهم أن يدرسوا تجربته؛ لأنّ تجربته كانت تجربة واسعة عميقة
ممتدة في خطوط الرسالة. كانت تاريخاً قد يحمل السلب والإيجاب،

ولكنه لم يكن فيه شيء لغير الرسالة، وربما لا يلتقي الناس بتاريخ
معاصر، في شخص معاصر، بمثل هذا الغنى وبمثل هذه الصدمات.

لذلك، فإتي في حديثي هذا أقول للرساليين:

حاولوا أن تفهموني جيداً؛ فإذا كان البعض لم يفهمني في حياتي؛
لأنّ التهاويل والانفعالات والتعقيدات قد حجبت وضوح الرؤية، ولكن
عندما يغيب الإنسان عن الساحة ويشعر الآخرون بالأمن من
تعقيدات وجوده عليهم، يمكن أن يفهموه أكثر وأن يستفيدوا من تجربته
أكثر.



الأنفاس الأخيرة

● ما هي آخر كلمة تحب أن تُسمعها لكل العالم؟

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ
أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].



الفهرست

٩ الذات والرسالة
١٦ سكون الحياة
٣٥ اللقاء مع الله
٤١ كلمات ووصايا
٥٨ في حفل التأبين
٦١ الأنفاس الأخيرة

